يقال باع وشرى بمعنيين متضادين في كل واحد منهما غير أن اشترى لا نعرفه الا بمعناه المعروف وضده ابتاع ، والشاعر هنا يقصد بابتاع باع وهو الصحيح ان أراد أن يستقيم له المعنى .

دحرت (موران) لما جاء منتقداً
دحراً أحل به في جحفل لجب

الصواب حل في المكان ولا باس أن تقول حل به والباء للتعدية كما تقول حللت بصاحب في المنزل ويقال اذا عديته بالهمز أحللته المكان وأصله حلّ فلان المنزل الفلاني هذا هو المعروف ، وأما أن يقول شاعر (كشاعرنا) أحل به فغلط يجب التنبه له وقد سبق للشاعر الشنجيطي أن وقع في مثل هذا الغلط وأبدينا له ملاحظتنا بتواضع فأرغى وأزبد وانطلق يسبنا ، ويقول علال :

بني الجزائر هبوا من رقادكم ☆ ولتستضيئوا بنور أزهر الشهب

والنور مضاف الى أزهر فكان ذلك مما يسوء الخليل بن أحمد وان كانوا جوزوه من باب الزحافات ولكن النحويين أصحاب الاجرومية لا يغضون عن قوله : «ولتستضيئوا» لانهم نصوا — والعهدة عليهم — على أن العرب لا تقول : لتخرج ، لتقم ، لتفهم ، الا على وجه الندور والشذوذ والشاذ لا يتبع وقد يركن اليه من يريد العناد وطول الجدال .

ولعلال قصيدة في الشباب الممثل منسجمة اللفظ رائقة السبك وقد استوقفتني قافية هذا البيت :

آه ! لو دام ذلك العزم فينا ☆ لم تكن في الورى بلاد هجين

(بلاد هجين) ! لقد آمنا بسحر الشعر وكفرنا بهذه الهجنة ، وان كان المجازيون البلداء يسيغونها باخلاقهم المتسعة وتجاوزهم فوق المحدود ، ويقول في مقطعة (السلم) :

فيغدو نبي السلم قائد فيلق ☆ ويصبح سفر القدس وهو سفير

لم ندر ما القصد بالشطر الاخير وأي معنى أثبته فيه ، بيد أنه لولا الجناس الظاهر فيه لتداعى ركناً فركنا حتى أن الوزن كاد يفر فراراً وعلم ذلك عند منشئه الفاضل .

هذه نظرة عجلى في شعرنا بغتنا ونؤمل أن نرى ديوانه مطبوعاً لنتدارك بالنقد ما فات وليس المتدارك بفائت .

(ابن عباد)

رأيان :

١) التفكير المغربي الحديث

قد يرى الناظر في تاريخ المغرب الحديث «تاريخه العقلي» شيئاً من التطور ويحس ببعض الانقلاب الذي نشأ عن انبثاق عصر النهضة الحديثة ، ولقد يحار المرء اذا رأى هذا التطور السريع وهذا الانقلاب الذي بغته بغتاً يذهب غير مذهبه الذي ينبغي له ويسير في غير ما هدى ولا رشد ، ذلك أن التفكير الحديث تجرد عن التعمق في بحث المسائل واستقصائها ولازم الضروريات والظواهر التي لا تحتاج الى بحث عميق وجهد الفكر واتعاب النظر ، ولقد نجم عن ذلك اندثار بعض المسائل العلمية والتاريخية والادبية ونشأ أيضاً جمود في الفكر وخمول في العقل وهذا شيء — بلا شك — لا تحمد له عقبى وسيحدث عنه تقهقر وانحطاط في التفكير المغربي السديد من حيث انا نريد ترقيته الى أوج الكمال والذروة العليا .

ولقد يستطيع كل من يلم بشيء من تاريخ المغرب وتاريخ بعض رجاله ويعرف تفكيرهم العميق ان يلقي نظرة عجلى وأن يقارن مقارنة بسيطة بين التفكيرين فبلا شك سيجد البون شاسعاً والفرق ظاهراً بيناً .

يرى المقارن ان لا نسبة بين هذين العصرين فبينما يرى العصر القديم الذي يسمى — بحق — عصراً ذهبيا قد انتج من المفكرين من تطأطأ لهم الرءوس امثال الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بن خلدون أول من بحث في علم العمران والاجتماع (المتوفى بمصر سنة ٨٠٨ هـ) وغيره ممن يفخر بهم العرب على العموم والمغرب على الخصوص اذا به يرى هذا العصر الذي تيسرت فيه اسباب التقدم والنبوغ وترجمت فيه الى اللغة العربية علوم وفنون لم تكن بها من

قبل بفضل ما قام به اخواننا الشرقيون نحو لغتهم الكريمة اذا به يرى هذا العصر خلواً من كل مفكر ، خلواً من كل من يرسم خطة لتفكيره ، خلواً من كل من يجعل مثلا أعلى أمامه ويسير بكل تؤدة نحوه .

ولقد يخرج الباحث بخلاصة أرى أن لابأس في الاشارة اليها ذلك ان المفكرين القدماء كانت لهم همم عالية ولم تخدعهم الالقاب الفخمة وكانوا يرون انهم يؤدون رسالتهم في الحياة فيجب عليهم إذاً الاخلاص في وظيفتهم التي كلفوا بها وكانوا يرون انهم يسدون فراغاً لو لم يعملوا فيه بجد لانهدم ركن من اركان شعبهم ولكانوا مسئولين امام الله والناس وأمام ضمائرهم ، أما رجال هذا العصر - رجال النهضة كما يقولون - فقد تقاعست هممهم واكتفوا بهذه الخيالة البسيطة وظن كل من نشر مقالة أو قصيدة انه أدى ما توجب عليه الانسانية وانه المفكر الوحيد... وكثر - والحمد لله - المفكرون والفلاسفة واصحاب الاراء الجديدة وظلوا يمتعوننا بابحاثهم الشيقة النادرة فهذا ينقد والآخر يرد والثالثة يكون حكماً فصلاً بين الخصمين... فالحمد لله على قلة الصحف !

على اني اعتذر عن هؤلاء الاقوام - سامحهم الله - بانهم اقتدوا ببعض من يدعون التفكير في الشرق ويعلون اصواتهم بتلك الالفاظ الجوفاء ويكررونها مراراً - لان خزانتهم خاوية من سواها - وفي الحقيقة هم الذين جنوا على شبابنا الذي يريد أن يظهر للحياة لاول مرة واعتذر عنهم بعذر آخر ان قبل هذا ذلك ان هذا دور الانتقال لابد فيه من مثل هذه الاطوار ولا بد فيه من ادوار تمثل على مسرحه العمومي ، فالطور الاول يكون على هاته الحالة التي لا يرضاها أولو العقل الراجح والتفكير السديد ، والطور الثاني يكون احسن منه حالا وهكذا الى أن تعلو مدارك القوم على قاعدة النشوء والارتقاء .

ولقد يبغتني القارئ بسؤال لا محيص لي من الجواب عنه يقول : « بين لنا طريقة اصلاح هذا التفكير الذي لم ترضه لشعبك ولم ترض لشبابه ان يكون حامل رايته فلقد اسرفت في التنديد على هؤلاء الاقوام الذين قصروا - في نظرك - ولم يصادفوا عين الصواب ولا كبد الحقيقة أشر علينا برأيك يا هذا :...» هذا سؤال يختلج في ذهن القارئ لاول ما يقرأ هذه الاسطر ، هذا سؤال يثير في النفس حماساً والتهاباً للبحث عن الطريقة التي يجب ان نتبعها في تفكيرنا جميعا.

ولقد رأيتني اضطرب عند ما حملت القلم للجواب عن هذا السؤال لان قولي هذا يعد سناً لقانون اصلاح التفكير المغربي ، ولكني اجتزئي ببعض المسائل التي ربما كانت هي اصول اصلاح هذا التفكير السقيم :

أولاً — التزود من المعلومات التي يحتاج اليها الطالب ليتسنى له البحث اذا اراد ان يعالج موضوعاً من المواضيع الخطيرة التي تحتاج الى دراسات عميقة وبحث وتنقيب .

ثانياً — ان يدرس الطالب دراسة جدية وان يكون في ذهنه ملكة يستطيع ان يميز بها بين السقيم والجيد ، ولست من المنكرين طريقة الدراسة القروية العتيقة لاني اعتقد أنها تكوّن في الطالب ملكة قوية لا ملكة مائعة وان انتقدها بعض من اصحاب الافكار الراقية...

ثالثاً — عدم التطلع الى الابحاث الراقية التي لا يحتملها ذهن الكاتب لانه يبخسها حقها لعدم نضوج فكره ولعدم توفر المعلومات التي يبتغيها الموضوع .

رابعاً — تتبع سير الحركة العلمية والفكريه في الشرق عامة وفي مصر خاصة فانها تمنح الطالب دروساً عملية في وجهة تفكيره .

هذا جواب في ظني انه مقنع بعض الاقناع وان كان ليس كافياً ولكن الموضوع لا يسع اكثر من هذا .

ك. ب.